فرضية المجايلة التاريخية والمنجز المسرحي بين التواصل والتقاطع (المسرح العراقي انموذجا)

ا. د. عبد الكريم عبود عودة
جامعة البصرة/ العراق

الخلاصة :

يشـكل المنجز المسـرحي عطاء تاريخيا يمتد عبر فترات زمنية متنوعة ، تأخذ ابعادها الاجتماعية والسـياسـية والفنية من محيط هذا المنبع التاريخي ومعطياته التي تعززها جملة من التداخلات السـيسـوثقافية مبنية على فرضـيات تعطي لزماكانية هذا المنجز المسـرحي عبر التصـورات والرؤى والنظر بعقلية تحليلية واعية لاسـتنباط هذه المعطيات التاريخية العاكسـة لمضـمون المنجز المسـرحي وشـكله التعبيري الذي يمثل مرحلة تاريخية دون غيرها، اذ تنتقل هذه المعطيات عبر ما نطلق علية بمصـطلح المجايلة ، وهي تمتلك في جوهرها طريقتين في الانتماء والتعبير والتداخل.

الطرق الاول يمثل الانتقال المعرفي والثقافي بين الاجيال وهي تحاول ان تضـيف وتجدد بل تبتكر انطلاقا من مرجعياتها التاريخية لتبني لها صـرح الهوية والخصـوصـية التي تعكس ميزات الجيل ، انه طريق ايجابي لاسـتيعاب مفهوم المجايلة باتجاه التواصل .

اما الطريق الثاني فهو يتجه نحو المعاكسـة والمجابهة من اجل ان يزيح معطيات الزمن الماضـي ويسـتبدلها شـكلا ومضـمونا باتجاه معطيات الزمن الان، انه طريق يتبنى فكرة الذاكرة والمحو والاستبدال والاتيان بما هو مخالف عبر منظور فلسفي له علاقة بالواقع المعاش، هذا الجيل يأخذ من مفهوم التقاطع لتأكيد مسـار فكري اخر للمجايلة نابعة من صراع الاجيال .

مما تقدم تتضـح لنا اسـئلة المجايلة التاريخية المعنية بفن الدراما عبر تاريخ مساراته في البحث والتجريب والاكتشاف، وهذا يستدعي من الباحث طرح اسئلة جوهرية

حول نقائض ومقاربات ومقارنات المجايلة عبر سياق تواصلها الابداعي او في سياق تقاطعها مع مسارات الفعل التاريخي للمنجز المسرحي. الاسئلة محدد بالصياغات ادناه:

– هل المجايلة التاريخية تواصل في الانجاز المسرحي واكتشاف لحقيقة الرؤيا الابداعية المبنية على جدلية البحث عن الجديد ؟.

– ام ان المجايلة التاريخية هي تقاطع بين الماضي والحاضر بهدف ازاحة الماضي واستبداله بحاضر مغاير؟

وانطلاقا من السؤالين صاغ الباحث عنوان بحثة الموسوم .

Conclusion :

The theatrical achievement constitutes a historical tender that extends across various time periods, taking its social, political and artistic dimensions from the environment of this historical source and its data that are reinforced by a number of sociocultural interactions based on assumptions that give the temporality of this theatrical achievement through perceptions, visions and consideration with an analytical and conscious mindset to elicit these historical data that reflect the content of the achievement The theatrical and its expressive form, which represents a historical stage and not others, as these data are transmitted through what we call the term of complacency, and it possesses in essence two ways of belonging, expression and overlap. The first methods represent the cognitive and cultural transfer between

generations, and they are trying to add, renew and even innovate based on their historical references to build for them an edifice of identity and privacy that reflects the characteristics of the generation. It is a positive way to comprehend the concept of conformity towards communication.

As for the second way, it is heading towards the opposite and confrontation in order to displace the data of the past time and replace it in form and content towards the data of the time now. Another thought for Almajalih stems from the conflict of generations.

From the foregoing, it becomes clear to us the questions of historical imitation concerned with the art of drama through the history of its tracks in research, experimentation and discovery. The questions are defined in the wording below:

• Does the historical conformity continue in theatrical achievement and the discovery of the truth of the creative vision based on the dialectic of the search for the new?

• Or is the historical compatibility an intersection between the past and the present with the aim of removing the past and replacing it with a different present?

Based on the two questions, the researcher formulated the title of the tagged research.

فرضية المجايلة التاريخية والمنجز المسرحي بين التواصل والتقاطع
المسرح العراقي انموذجا

من اجل التعرف على تداولية فعل السؤالين، فقد شمل البحث عديد من المحاور التي تطرح معنى التمايز بين الاجيال المســـرحية العراقية، منطلقين من مدخل معنى المجايلة التاريخية العام ومتناولين بالدرس معناها الاجرائي الخاص بحدود تطور الدراما عبر التاريخ، لذا اهتم البحث بمرحلة اخرى بألقاء الضـوء على نظرية المجايلة التاريخية بعدها قراءة فلسفية واعية تسهم بالتعرف على الاجيال وخصائصها في التفكير .

اما الجانب التطبيقي الذي عزز من مداخلات البحث المعرفية ، فقد امتاز باختيار نظرية الاتصـال عند (رومان ياكوبس) ودرس بنية عناصـر الرسالة ووظائفها الدلالية وتحليل المركبات البنائية للمنجز المســـرحي لتميز الاجيال عبر تناولها لتطويع الوظائف والغايات الابداعية عبر فهم ســيســـو معرفي يظهر تغيرات المجتمع الجوهرية واختيار الوظيفة الاتصالية لجيل تلك المرحلة من التفكير .

اما الاجراء الثاني فقد اتخذ من نظرية المجايلة التاريخية وفاعليتها ببناء الدولة عند (ابن خلدون) مدخلا لدراســـة مكونات الاجيال المســـرحية العراقية منذ عام 1880 ولغاية عام 2015، ضـــمن تقســـيم زمني تاريخي تتشـــكل فيه الرؤى والافكار المتمثله لروح الاجيال المسرحية واختلافاتها .

وخلص البحث في تأشير بعض النتائج المهمة ندرج منها:

- نظرية الاتصـال انتجت وظائف متعددة تشتغل فيها عناصـر الرسالة الاتصـالية بالية العنصـر المهيمن لتشكل وعيا جيليا جديدا مرتبطا بالتغيرات الاجتماعية والسياسـة

والثقافية التي تمنهج المسارات الخاصة بالاتجاه المسرحي للأجيال التي ظهرت في الساحة المسرحية العراقية لتعلن عن وظائف ذات مغزى يمثل جيلها الابداعي.

- الحقب التاريخية اعطت لأجيال المسرح العراقي على مستوى نظرية المجايلة التاريخية مساحات متنوعة من الاجتهادات والتجارب في الصيغ الاسلوبية للعرض المسرحي، مما ادى الى تنوع في الانتاج على صعيد تداخل الاجيال اولا، والجيل الواحد ثانيا. وقد اتضحت هذه النتيجة بحجم اكبر في جيل المسرحيين الثالث الموسوم بجيل الانفتاح والتحرر .

اولا : نظرية المجايلة بين المعنى العام والمعنى الاصطلاحي المسرحي

يرتبط مفهوم الجيل بدراسة فئات عمرية محددة تمثل مرحلة الشباب .. وهي فئة اجتماعية معلومة العمر والوعي والادراك، اذ تسهم هذة الفئة بتفسير الظواهر المرتبطة بالتطور التاريخي فضلاً عن تحليل العوامل المؤثرة والبادية الوضوح في التغيرات الاجتماعية والسياسية ضمن فترة زمنية معلومة.

فكلمة «Generation» " ذات أصل إغريقي وهي مصطلح أساسي في الفلسفة اليونانية، فالإغريق القدامى كانوا واعين بأن العلاقة بين الأعمار ليست بالضرورة متناغمة، ومن ثم

كانوا متفطنين للنتائج الاجتماعية والسياسية للتعارض بين الأجيال ، «فأفلاطون» كان يرى في الصراع الجيلي قوة محركة للتغيير الاجتماعي،و«أرسطو» كان يفسر الثورات بالصراع بين الأبناء والآباء، وليس فقط بالصراع بين الطبقات " (المطري ، مجلة اضاءات).

ان محور التفكير بفلســـفة الوجود في الحضـــارات القديمة انطلق من مفهوم الاجيال الذي انبعث من منشـا التقاليد الشـفاهية التي اعطت قياسـا تاريخيا لقيمة الجيل وفســـرت حركتة في المجتمع ، وعلية فأن نموذج الجيل هو تمظهر أخر للحياة عبر تاريخ زمني يمثل الانتقال الى الموت (ول ديورنت، 1997 ، ص 632)

اما (ابن خلدون) فقد طور مفهوم الجيل منطلقاً من نظريته الاجتماعية الخاصة ببناء ونشـأة وانحلال الدولة. فالدول اعمار طبيعية مثل الاشـخاص، وقد وضـع مقدارا حسـابيا للجيل صـنفه بأربعين عاماً. لذا فأن عمر الدول بهذا التقسـيم الزمني التاريخي الاجتماعي لايزيد عن مائة وعشرين عاماً. " موضوع التاريخ هو الحياة الاجتماعية وما يعرض منها من ثقافة مادية وعقلية فالتاريخ يبين اعمال الناس وطرائق معايشـــتهم ومنازعاتهم وحكوماتهم، وصـــناعاتهم ، وعلومهم ثم يبين كيف تزهو المدينة قليلاً قليلاً بادئة من مبادئ بسيطة ثم تاخذ في الزوال " الموسوعه الفلسفية ،1983 ،ص 15).

وعليه يمكن طرح نظرية الدولة على وفق مفهوم المجايلة كما موضـــح في المخطط ادناه والمستنتج من نظرية ابن خلود التاريخية.

الاجيال الثلاثة

لنظرية الدولة

جيل البداوة جيل الحضارة الانحلال

يشكل النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين في اوربا سـاحة معرفية لاسـتكمال المعنى الدقيق للمجايلة على المسـتوى التنظيري والتطبيقي اذ جاءت هذه الافرازات نتيجة للتحولات الاجتماعية الكبرى التي طرأت على المجتمعات الاوربية في هذه الحقبة الزمنية المهمة وقادها مجموعة من رجالات الفكر الشبابي الذين طرحوا في فلسـفاتهم تيارات ومناهج اخذت تبلور المنهج العلمي التاريخي الذي سـاعد

على ظهور مفهوم الجيل باعتماد طرائق بحث علمية من شـانها ان تتيح وتضـع ادارة منهجية للقياس والتقويم لمعنى الزمن التاريخي .

وهذا ما طرحته نظرية الاجيال من وجهه نظر (كارل منهايم) * *Kari Mannheim* الذي

***كارل مانهايم (1893-1947) (Karl Mannheim)عالم اجتماع مجري الأصـل من مؤسـسـي علم الاجتماع الكلاسيكي ويعد مؤسس علم اجتماع المعرفة .**

يرى في كتابه (مشكلة الاجيال) " ان مفهوم الجيل اساسي ويستمد اهميته من الامكانات التي يتيحها التحليل لتشـكل الحركات الاجتماعية والفكرية وفهم التحولات المتسارعة في المجتمع" (كارل منهايم نقلا عن وليد المطري).

وفقاً لما تقدم فأن (موقع الجيل) يتأثر بالأحداث التاريخية الكبرى المصـادمة والمغيرة للبنية الاجتماعية، مما يعطي للجيل القادم صـيغة وكيانا قد يختلف بأنسـاق بنائه الكلية عن الجيل السابق ، وهذا يحقق صراعا بين الاجيال ويكشف عن ما اضافه الجيل من تواصـل او تقاطع في الوعي المتميز الجديد والملحوظ على وتيرة التغيرات الاجتماعية والتاريخية.

وهنا تلعب مجموعة من العوامل والمسـببات وتتحكم بقانون نظرية المجايلة التاريخية نذكر منها:

1- المؤسسة الثقافية
2- الانظمة السياسية
3- الكيانات الاجتماعية (الاسرة ، المدرسة ، البنية المكانية والزمانية)

ان ظاهرة الاجيال في اطار البحث الاجتماعي التاريخي الكاشـف عن القوى المحركة للمصـير الابداعي للفنان المسـرحي ترتبط بفعل التحول سـواء كان فردياً (

وجهة نظر الفنان) او جماعيا (وجهة نظر الفعل الطاقمي للعمل المسرحي) يؤسس من منطلق وصنعه التجانس او الاختلاف .. التواصل ام التقاطع . وعليه فأن محددات قياس هذا الجهد عبر مراحل الاجيال المسرحية متنوعة يتطلب معرفة العوامل ذات الصلة البنيوية التي تشكل ظاهرة الجيل ... والمنعكسة على ظهور فاعلين ومفكرين ثقافيين ومبدعين مسرحيين مشاكسين للنظرية التقليدية المعروفة ومغيرت في رؤاهم عن الوجود والعالم والتي تنعكس على رؤياهم الفنية شكلا ومضموناً .. انه صراع من اجل الاستمرار والتواصل .. قد يحمل في ثناياه الازاحة والتقاطع ولكنه يتمثل بمنظور الاستمرارية الابداعية المسرحية المتجددة التي تعني في معناها الفلسفي التجريب المسرحي .

ثانياً : فرضية المجايلة التاريخية

تسعى دراستنا اطلاق مستويين من فرضية المجايلة التاريخية المعنية بالدراما ، المستوى الاول جمالي اما الثاني تاريخي، وهي دراسة للأجيال كظاهرة أبستمولوجيه اجتماعية ، نأخذ من علم الاجتماع المعرفي هو " دراسة العلاقة بين الفكر الانساني والسياق الاجتماعي الذي ينشأ داخله والاثار السائدة والافكار، وهو ليس مجالا خاصا في علم الاجتماع ولكنه يتناول المسائل الاساسية حول مدى وحدود التأثيرات الاجتماعية على حياة الفرد والاساسيات الاجتماعية والثقافية لمعارفنا حول العالم" (Beck، Wehling ،2012 33–p57)

اذ تكمن محاولتنا في قراءة الفعل الابداعي للمنجز المسرحي عبر مراحل التاريخ التي تلعب فيه المجايلة التاريخية دوراً مهماً وفاعلاً في تأطير نظرية الدراما تاريخياً وابداعياً عبر ميزات هذا المنجز ووظائفه الفكرية والجمالية التي تنعكس على روح العصر متمثلة بقيم اسلوبيه ذات ابعاد فلسفية مؤسسة من طبيعة المرحلة التاريخية لكل جيل على حدة ، انها فرضيات معنية بنتائج الفعل الابداعي المسرحي للأجيال وتأثيرها بالمحيط الاجتماعي والتاريخي والمعرفي .

وعلية ستنطلق من اسئلة جوهرية تشكل بإجاباتها معايير القراءة التي تعتمد على مرجعيات نقدية معاصرة او تاريخية تطور النظرية في هذا المجال المعرفي و تتداخل مع علوم مجاوره ، بناء ثقافة شاملة راصدة للحقائق ومعلنة عن نتائج تفكير تؤطر عوالمنا المعرفية .

ثالثا : اسئلة الفرضيات

الفرضية الاولى :

هل ان تعدد الوظائف الدلالية للمنجز المسرحي محكوم بالفترات التاريخية لظهور الاجيال واعلان رؤيتها المتجددة في الابداع المسرحي؟

مرجعية الفرضية:

نحن ازاء ابنية ثقافية مركبة من شأنها ان تكشف تاريخ الفعل الابداعي المسرحي على وفق زمكان منظور ومحكوم بمعطيات اجتماعية وسياسية تتشكل في مجموع محاور الصراع بين الاجيال . انها ابنية تتغير وتنزاح من وقت الى اخر اذ تحل محلها ابنية اخرى تنظر للظاهرة المسرحية المجايلة بعدها فعلا تواصليا او حالة تقاطع .

وانطلاقاً من هذا الفهم فأن نظرية (رومان جاكوبسن) * في اطارها الاتصالي يمكن اعلانها كوحدة قياس تحليلية للمجايلة التاريخية ببعدها الثقافي المسرحي .. انها مرجعية نقدية معاصرة تأخذ من تشكل عناصر الرسالة الاتصالية في تأسيس محاور هذه الفرضية اعتماداً على حركية العنصر المهيمن في الرسالة واتباع العناصر الاخرى له في الاشتغال على بنية النسق التعبيري والوظيفة الدلالة له. انها عملية تداخل وارتباط بين الاتساق الاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية المشكلة للوظيفة الدلالية للرسالة الاتصالية عبر مراحل تشكل الاجيال.

الفرضية الثانية:

هل يتمحور البعد التاريخي للمجايلة عبر معطيات المسـيرة التاريخية وتبدلاتها في الحالة السياسية والحكم لينعكس الفعل الابداعي في عطاء الاجيال المسرحية؟

***رومان باكويسـن (1892 – 1982) من اهم اللغوين في القرن العشـرين وصـاحب نظريات عديدة ، ساهم في ارساء نظرية التواصل مستعيداً في الابحاث السابقة وهو احد مؤسسي حلقة موسكو اللسانية عام (1915 –1920) لقد لعب (كوبسن) دوراً فاعلاً في انشاء مدرسة الشكلانين الروس ، تم انتقال نتيجة للأوضـاع السـياسـية الى تشـبوكوسـافاكيا واسـس مع مجموعة من اللغويين حلقة براغ اللغوية وبعد الحدث التاريخ في اجتياح الالمان غادر الى بلدان عديدة من اوربا ليسـتقر اخيراً في الولايات المتحدة الامريكية مؤسسا فيها حلقة نيويورك اللغوية .**

مرجعية الفرضية

يتأسـس مدلول هذه الفرضـية الجوهري من بعدها التاريخي في قراءة تقسـيم الاجيال عبر المعطيات السـياسـية والاجتماعية والثقافية التي تمثل نظرية الاجيال عند (كـارل مـاتهـايم) ونظريـة الـدولـة عنـد (ابن خلـدون)** ان التحولات الفكريـة للجيـل والتداخلات الأيـدولوجيـة للسـلطـة وانظمـة الحكم والطفرات التـاريخيـة المتمثلـة بتـأثير الازمات الكبرى التي تحول بنى المجتمع هي المصـدر الذي سـتأخذ منه هذه الفرضـية مقومات تقويمها للمراحل التاريخية في ضـوء عقود ، وسـنيين ، ودهور . للنظر الى مسـاهمة تلك الاحداث التاريخية في صـياغة وبلورة معنى الجيل المسـرحي ومهماته الوظائفية في وضع حلول تعبيرية عن راهنية الوضع التاريخي الممثلة لفعله الابداعي.

اشارة للانطلاق في التحليل:

المبدع المسـرحي العراقي نموذج تطبيقي للدراسـة ، يعيش حيرة الانسـان الذي يعي الحقيقية بكل تفاصـيلها القلقة ويريد التعبير عنها بصـدق ليشكل المشـهد المسرحي انعكاساً واقعياً فنياً للشروط الاجتماعية والسياسية التي يمر بها هذا المبدع.

ان عناصـر الابداع الغني للمنجز المسـرحي من خلال هذا الفهم الواعي لعلاقة الفن بالمجتمع ، وهي علاقة فنية تربوية اخلاقية ، تفرض على المشهد المسرحي

اما التحدي والبقاء عبر راهنية الوعي ومجايلته للتعبير الفني الصـادق او خلق فراغ في المشهد الابداعي المسرحي ناتجاً عن التفريق بين المركز والهامش بعدَهما صورا للصراع بين الاجيال ، وهو صـراع سـلبي يأخذ عن محددات واضـحة تتحكم بصـيغة المجايلة وتحولها الى ايجابية في الفعل الذي يمثل المنجز المسرحي ضمن بعده الرئيوي او الى سلبية في التناول والتعبير .

رابعاً : التطبيق والاجراءات

1- نظرية التواصل والوظائف المسرحية المتعددة

ترتكز نظرية التواصل عند (رومان باكوسن) على تفاعل عدة عوامل ومقومات تبدأ بضـرورة الفعل الاتصـالي وتبلوره كفكرة مجردة وصـولاً الى فعل التشـكل التأثيري والتواصـلي ما بين المرسـل والمسـتقبل عن طريق صـياغة الرسـالة وتحويلها من اطارها المجرد الى الاطار المحسوس

**** ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي – 1332) 1406م(، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة، رحل إلى بسكرة وغرناطة وبجاية وتلمسان، كما تَوَجَّهَ إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برقوق، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (784–808هـــ)، حيث تُوُفِّيَ عام 1406 عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشـمال القاهرة تاركا تراثا ما زال تأثيره ممتدا حتى اليوم ، ويعدر ابنُ خَلدون مؤسـسَ علم الاجتماع الحديث ومن علماء التاريخ والاقتصاد**

والملموس عبر قنوات التعبير المسـرحية على المسـتوى السـمعي والبصـري والحركي لتحقق مرحلة انجاز الاتصال والتلقي.

نموذج الرسالة الاتصـالية في هذه النظرية يتكون من ستة عناصـر اساسية تتحكم ببنية تشكل العملية الكاشفة للرسالة وهي كما توضح في المخطط ادناه.

سياق

رسالة

المرسل المستقبل

قناة اتصال

شفرة

وتتبع هذه العناصر المشكلة لبنية الرسالة الاتصالية مواقف لتحرير الوظيفة ببعدها اللساني الذي يتحول من الادب الممثل لخطاب اللغة الى العرض المسرحي المتنوع المستويات في ارساله لتنظيم انساقه التعبيرية ضمن شروط التوزيع الخاص بهيمنة احد هذه العناصر الوظيفية لإبراز دور وهوية او رؤية المنجز المسرحي عبر تاريخية الاني والذي يمثل مرحلة تاريخية بعينها تعكسها الاجيال المبدعة ضمن نشاطها الفني المقدم " وهذا يفرض وجود وظائف دلالية من ناحية ومتعددة من ناحية اخرى وهي نتيجة طبيعية اذ ما خذنا بنظر الاعتبار اسلوب المخرج ورؤياه الفنية في تشكيل المنجر الابداعي الذي يتجلى من خلال الشكل والمضمون " (اسعد،2011)

وعليه يمكن توضيح تلك الوظائف المسرحية التي يقوم ويؤديها العرض على وفق التأثيرات السياقية للبنى الاجتماعية والتاريخية لتظهر تمرحل المجايلة في اوسع معناها الدالة على تعدد وتنوع الاتجاهات والمذاهب والاساليب المسرحية عبر محددات الفترات التاريخية ونقلها للأحداث الصادمة والمغيرة للحظة والمؤثرة على المستوى الثقافي والسياسي ، وعليه يمكن رصد هذه الوظائف من خلال المجايلة في الظهور والاختفاء لتيارات جاءت لتتبلور ثم زالت لانتفاء وظيفتها الدلالية عبر تغبير وتبدل الاجيال . وهذه المقارنة تتشكل على وفق الترسيمة قي ادناه:

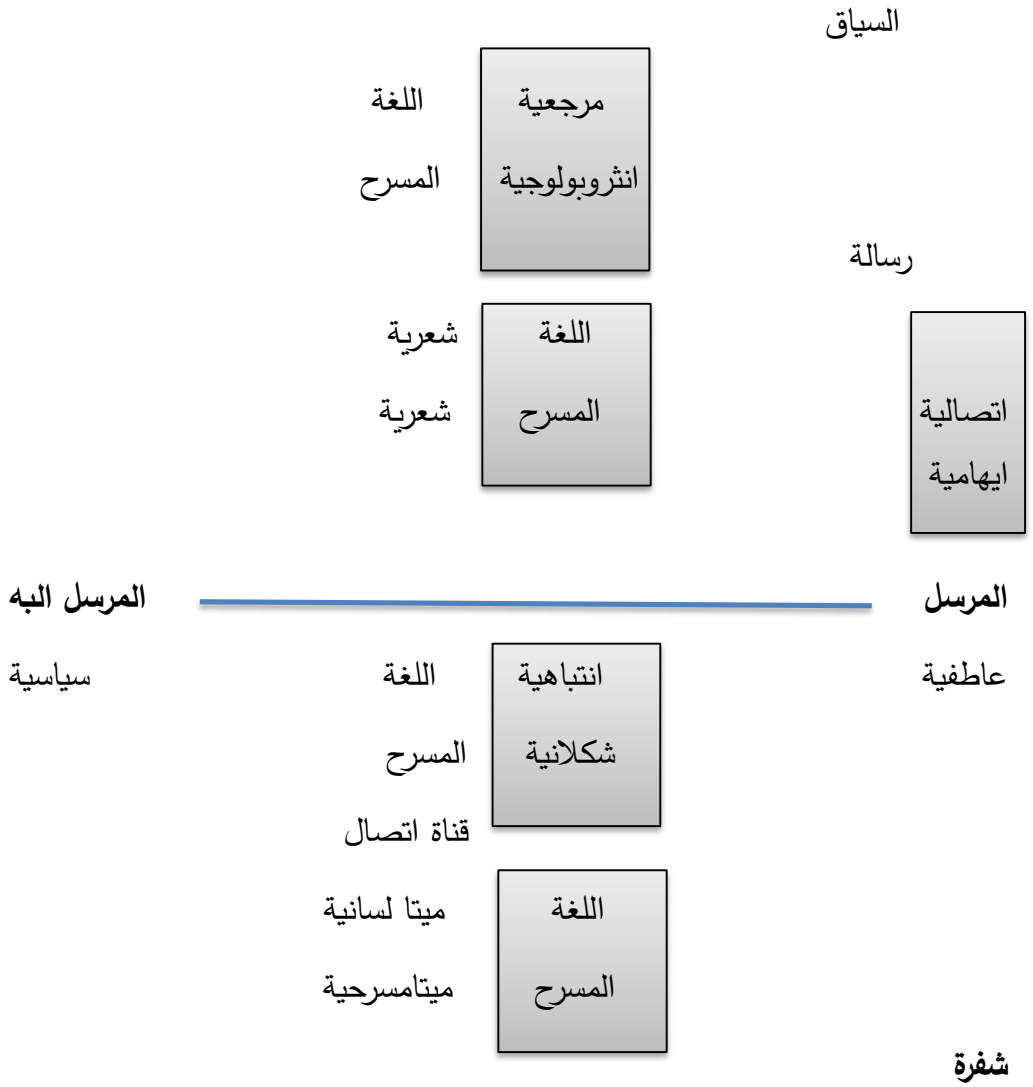

ان التحولات الفكرية والسياسية في العراق منذ عام 1921 عام تشكل الدولة العراقية تحت مسمى الحكم الملكي وما تبعه من متغيرات في البنى السياسية لعام 1958 وانتقال السلطة من الملكية الى الجمهورية قد خلق جيلا جديدا من المسرحيين اهتموا بالرسالة الانفعالية اولاً وقدموا عروضاً مسرحية واقعية تزخر بتعزيز مفهوم الاندماج والتقمص وتنقل الواقع العراقي بل معطياته وصوره المتداولة في الحياة.. وقد

مثل هذا الجيل كل من المخرجين حقي الشـبلي ، جعفر السـعدي ،جاسـم العبودي ، ابراهيم جلال ، بهنام ميخائيل وآخرون (عبدالحميد ، 2013، ص 45-46) .

اما الحقبة الزمنية الثانية والتي افرزت بمدخلاتها التاريخية الجديدة مكونات اخرى مختلفة ومتناقضة للبيئة الاجتماعية العراقية السابقة فهي تمثل سنوات الحرب منذ عام 1980 ولغاية عام 2010 فقد مر العراق بهذه المرحلة بأزمات كبرى غيرت من طبيعة والتفكير واسـست لمحاولات في التروي الثقافي الذي انتج جيلا ابتعد في التزامه الاخلاقي والوطني عن الاجيال السـابقة وتميز بمجموعه من الصـفات التي ازاحت الكثير من الانتماء واسـتبدلته بالتشـظي والضـياع انها ، مرحلة مجايلة لم تأخذ من الماضـي مقومات التفكير بل جعلت من صـراع الاجيال انماطا جديدة من التعبير المسرحي تطلب في بنيته تغيراً في الوظائف والاهداف التي تسعى العروض المسرحية فيها لتمثل اجيالها باتجاه التأثير والتاثر، فقد ضـاعت خصـوصـيته العراقية في الانتماء مما يؤكد ضـياع هويته الابداعية انه جيل نسـتطيع ان نطلق عليه وفق اسـتخدامه للوظيفة الدلالية عبر هيمنة عنصر الرسالة وقناة الاتصال في الرسالة الموجهة مسرحياً جيل التناقضـات. وقد برز مجموعه من المخرجين المسـرحيين العراقيين الذي تنوعت انتماءاتها الفكرية والجمالية ليعكسوا مستويات متعددة من التعبير عن الوظائف الدلالية للعرض المسـرحي بعدها معطى للمجايلة بحثاً ودراسـة، وندرج اناه جدول يمثل بعضـا من هؤلاء المخرجين وكما موضح ادناه :

المخرج	الوظيفة	العنصر المهيمن	المسرحية	تأليف
صلاح القصب	ميتا مسرحية شفرية	شفرة	الملك لير	وليم شكسبير
فاضل خليل	الأنثروبولوجي	سياق	سيدرا	خزعل الماجدي
جواد الاسدي	شعرية	الرسالة	حمام بغدادي	جواد الاسدي

نظرية المجايلة التاريخية وانساق التعبير المسرحية

فكرة الجيل هي فكرة ديالكتيكية مبنية على صـــراع الامتداد تحكمها مبادئ معرفية ابسـتمولوجية في التجاوز والتنافر حيناً وفي الذاكرة والمحو جيناً آخر ..وتسـتند بظهورها او اختفائها على التواصـــل والازاحة .. انها عملية مركبة يكشـــف التحليل الاجتماعي التاريخي لهذه الظاهرة في المسرح عن تنوع في المراحل التاريخية الناتج عن تشكيل عروض ورؤى مسرحية متنوعة القصدية والهدف والغايات ، انها قصدية جاءت من المركب التاريخي للاجيال المتعاقبة التي اشـتغلت بالمسـرح العراقي على مسـتوى الهواية او الاحتراف او الاكاديمية ، اذ تجتمع هذه المسـتويات مع حقب زمنية معلومة في رســم مســاراتها الفكرية المتأثرة بنظرية المجايلة التاريخية اذ تأخذ مرجعياتها في كشـــف الجدلية التاريخية من طروحات (ابن خلدون) حول نظام الحكم والدولة ما بين تشكل وازدهار وتحلل وموت ونهاية، انه تاريخ الاجيال الذي يتسم بعدد سنوات من 23 – 30 عاماً لتمثل جيل بكل ابعاده ومعطياته التاريخية والســياســية والثقافية، وعليه نسـتطيع ان نعطي تقسـيماً واضـحاً لأجيال المسـرح العراقي من النشـأة الى التطور، وصـولا الى زمن التردي الثقافي الذي جرد مسـرحنا من بنيته التحتية والتقنية والفكرية ، وجعله عبارة عن محاولات شـخصـية يقوم بها افراد للتعبير عن موقفهم الفني بعيداً عن المؤسسة الثقافية الغارقة في الجهل المبتعدة في نواياها عن فكر الفنان المسرحي وجديد ابداعه.

اجيال المسرح العراقي على وفق نظرية المجايلة التاريخية

الجيل الاول البدايات الاولى التبشير والمسرح	الجيل الثاني جيل النزعة التخصصية	الجيل الثالث جيل الانفتاح والتحرر	الجيل الرابع جيل التروي الثقافي
1919-1880	1957-1921	1988-1958	2018-1990
كوري هرمز الاب حنا حبش موسى نعوم فتح الله اسكندر زغبي كوري انطوان	حقي الشبلي جعفر السعدي ابراهيم جلال اسعد عبدالرزاق جلسم العبودي	سامي عبدالحميد عوني كرومي صلاح القصب جواد الاسدي فاضل خليل	كاظم النصار احمد حسن غانم حميد حاتم عودة انس عبدالصمد

التحليل

أ- لقد عرف العراقيون المسرح 1880ستة من خلال تداول المعرفة المسرحية وعبر انتقالها من سوريا ولبنان وتركيا عن طريق المبشرين بالمسيحية .. انه جيل بدأ بعام 1880 منطلق من مبدأ جغرافي ثقافي اولاً ومدخل ديني تبشري ثانياً, وكانت مدينة الموصل هي الفتح الاول لمعرفة فعل تبشير الكنيسة .. ومن خلال مجموعة العروض المنسقة في الاديرة بمواضيعها الدينية التبشيرية وبطرق تقديمها الدينية، مدار تعايشي لبلورة الجيل المسرحي الاول على مستوى الارسال والتلقي. وقد انتقل هذا الخطاب المسرحي الى بغداد عبر الكنيسة ايضاً شكلاً وموضوعاً.

ب- جيل ثاني يمثل تاريخ المسرح العراقي، انه انتقال من الاقتباس والنقل الى الاجتهاد والتخصص جيل اخذ من المتغير السياسي لواقع الدولة العراقية في اول نشكلها الدستوري منذ عام 1921 الى عام1957 رغم التغيرات السياسية المبنية على اختيار الحكومات وبقاء الملك . لقد سار المسرح والثقافة المسرحية لهذا الجيل من منطلق

الايمان بناع دولة الدســـتور الملكية الفترة الاولى للجيل هي فترة بداية وانطلاق نحو التخصص المسرحي تبلورت من المصادر الاساسية التالية:

1-تشكيل الفرق المسرحية العراقية الاهلية

2-زيارة الفرق الاجنبية وخاصة المصرية منها

3-اسهام الدولة بتشكيل فرق مسرحية تابعه لها

4-الجانب التربوي والتعليمي في نقل المعلومة المسرحية وتكوينها عند الشباب

قد حققه عميد المســرح العراقي الاســتاذ (حقي الشــبلي) * بتظافر جهود الطلبة والمدربين وجهود الثقافة العراقية الباحث عن الوطنية فعل الريادة في الاختصاص ، انه جيل مسرحي درس المسرح في فرنسا، ايطاليا، أمريكا ، واسس وفق هذه الدراسة الاكاديمية للمســرح خصــوصــية التعليم والنشــأة والتدريب على ما تعلموه في الخارج ، فاصــبحت التجربة المســرحية الممثلة لهذا الجيل تجربة ناجحة فعلية بمقام اول انتاجية تمثل الثقافة الخاصـــة للعراقيين بمقام ثانياً ، وقدم هذا الجيل نماذج مســـرحية رفيعة المستوى .. تعبر عن تاريخ النضــج الفني المسـرحي المرتبط برجالات المسـرح وثبات الركيزة المسرحية الاخلاقية في منهج عملهم وتفكيرهم الفني .

ج- التحولات التاريخية على مســـتوى نظام الحكم اولاً وبنية المجتمع وعلاقاته ثانياً اثرت جيل الانفتاح الثقافي بعلاقات معرفية واعطته خطوة واضحة في البناء والتنمية .. انها انتقالات لبناء دولة ترتكز في نظامها الســـياســـي على مفهوم حكم الشـــعب (الجمهورية) بدأت وانطلقت لتؤســـس بنى ثقافية عراقية تســـتوعب الماضـــي وتبني للمســـتقبل من خلال الحاضـــر دروس جديدة في التطوير والتقدم العلمي وتكنولوجي والثقافي .

من هذا جاء جيل الانفتاح والتحرر منذ عام 1958 ولغاية عام 1988 رغم التبدلات السياسية في صياغة ما جاءت به الثورة الجمهورية وتحولها تدريجياً الى حكم

شمولي ساهم في عسكرة الدولة وتحويل نظامها المدني الى نظام دكتاتوري واضح في ممارساته باتجاه ما اسماه بعض المتخصصين في مجال السياسة يحكم الحزب الاوحد .

جيل مسرحي تصدى بوعي فني الى هذه المتغيرات وانتج انضج ما قدمه المسرح العراقي عبر مسيرة التبشير والتخصص وأختلف من مبدأ صراع الاجيال مع ما سبقه ، الا انه تواصل في المسيرة عبر محطات ابداعية اكتشافيه متنوعة تقل حقيقة التجربة المسرحية العراقية الثرة ، من محطات التجديد والتجريب المتطرفة في مسرح الصورة عند صلاح القصب ، الى جذوة الابداع في التغير المجتمعي واصابة المعنى باتجاه متفرج واعي وناقد لما يقدم له وازحة الاندماج والتطهر من المفاهيم الجمالية، بغرض كسر آليات الاستقبال المباشر واستبدالها بمفاهيم التصادم لإنتاج المعنى في ذهن المتلقي عند

***حقي الشبلي ولد في بغداد عام 1913، يعتبر رائد الحركة المسرحية في العراق، قام بأول دور تمثيلي في عام 1926 في فرقة جورج أبيض المصرية. أسس الفرقة الوطنية التمثيلية ومن أعضائها: نوري ثابت، فائق حسن وحافظ الدروبي. عام 1931 أسس فرقة تحمل اسمه، أسس قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة بعد أن كان معهداً خاصاً بالموسيقى فحسب عندما أسسه الموسيقار محي الدين شريف.. ثم صار الشبلي رئيساً لقسم المسرح ومدرساً فيه ثم عميداً لمعهد الفنون الجميلة، درس المسرح في باريس عام 1935. أسس معهد الفنون الجميلة في منتصف الأربعينات، تقاعد في عام 1976، توفي عام 1985.**

عوني كرومي ومسرحه الدبا لكيتي ، الى تجارب الواقعية السحرية التي تسعى لنقل الحياة اليومية عبر معالجا ت جمالية روحية تأخذ من عالم الممثل وسحره وعطاءه الحسي المتفاعل قيمة لبناء سينفر أقيأ جادة تسكن صورها في عقول متعلقة تسبح في فضاءات حلم المسرح الجديد كما في عروض المسرحي المغترب جواد الاسدي المنتمي روحا ووطناً الى عراق الغربة التي يعيشها .

انه جيل متنوع الارادات ومتعدد الرؤى عبر ما قدمه للمسرح العراقي من جديد فاعل ، وابداعي لحقبة زمنية مهمة من تاريخ العراق.

د – ما يميز جيل عن جيل اخر في اطار بحثنا السيسولوجي المعرفي ليست هي "العوامل الداخلية التي تربط بين افراده ، وانما هو وجود عامل خارجي يعطي للجيل هويته, وهو ما يطلق عليه (الحدث المولد) اي الاشكالية التي تولد جيلاً معيناً وتعطيه ذاتية وتحدد معاصرته وتشكل ذاكرته الجماعية" (علي الوردي .علم الاجتماع المعرفي).

لذا يمكن القول ان الجيل الرابع من اجيال المسرح العراقي والذي يبدأ بعام 1990 ويأخذ مداه في تأثير والوضوح والممارسة حتى عام 2013 ، انه جيل الحروب والالم والجوع والاحداث الكبرى التي غيرت ومازالت تغير من طبيعة بنية المجتمع العراقي فرداً وجماعات , فالجيل الجديد ماهو الا انعكاس لحطام اصحاب البلاد على كل المستويات.

مما اثر على تغير طرائق التفكير والسلوك عند الناس في ظل معطيات الارتداد الثقافي الذي يعني " محصلة اوضاع اجتماعية يعيشها المجتمع في اوضاع يحس فيها ابناء المجتمع بعدم العداله , بالتفرقة, الاحساس بالتهميش, القرف من الدولة اختلال المواطنة , الشعور بالمهانة , الاحساس بالاضطهاد , فوبيا الخوف والرعب, الشعور بعدم جدوى المستقبل" (الجميل، 2009).

ان ما يعانيه المجتمع العراقي من ارتداد ثقافي كبير خلف فجوة مخيفة بين وعي الانسان بذاته وشروده من المحيط الذي يعيش فيه .. اذ حققت هذه الفجوة اغتراباً انسانياً في الوعي الاجتماعي .. من خلال الصدمات التي ادت الى انقسامات عديدة في المجتمع بع ان كان متعايشاً عبر التاريخ .

هذه الفجوة الجيلية اعطت تميز لجيل التردي الثقافي فيما يخص فهمه للمعتقد الديني والسلوك الاجتماعي والسياسة والقيم، انها فجوة ابعدت المجتمع عن حقيقته التكوينية الاولى ووسمته بتشكل بنيوي اجتماعي عقائدي بعيد كل البعد عن تلك الحقيقة المتمثلة بالحقب والاجيال السابقة انها طفرة جيلية تعمل بضد من البناء الانساني وتسهم

في خلق اشـــكالية جيليه من شـــأنها ان تتقاطع مع مســـلمات بناء الدولة في الارتقاء الحضاري والمدني ، انه جيل التراجع والجهل واسبابه واضحة في الاثر والتأثير.

كيف واجه الوعي المســرحي المشــحون بقدرات وامكانيات في التعبير عن هذا الواقع ، نهم جيل مفكر تواصــل مع الجيل الســابق في الدرس الاكاديمي وفي المعلومة التاريخية عن فعل التطور والابتكار والاكتشــاف المســرحي، تناغم هذا الجيل وهو في بداياته مع سـر اللعبة المسـرحية التي شـخصـها جيل الاختصـاصـي، وتعامل مع هذا السـر الجمالي بلغة معرفية تعليمية مكنته من اكتسـاب المعلومات، لكن حقيقة التقاطع وليس الاتصـال تكمن بالحدث الارتدادي المتمثل بالواقع السياسـي والاجتماعي والثقافي الجديد، واقع الضـــياع الذي فرز ازمة التردي الثقافي وهنا تكمن المقاطعة بين الاجيال رغم بذور التواصل.

ان تفسير التاريخ في اطار نظرية المجايلة تكشف عن متغيرات الحالة السياسية والثقافية والاجتماعية التي صـــنعها وبلورها واعلنها التيار العام لثقافة التردي ، كيف يجابه هذا الجيل معطيات الاغتراب، انهم مســـرحيون شـــباب يتحدون قانون المجايلة ونظريته الفلســـفية كما جاء ببعدها التاريخي، والتحدي فرض على الجيل المســـرحي مسـتوى اول معنى بالتواصـل الذي يؤكد اسـتكمال ما بناه الجيل السـابق من مرتكزات اسلوبية ووظيفية اعطت للمسرح العراقي ثباته من خلال وضوح مهام جيل الاختصاص وابداعاتهم المتنوعة . اما المســـتوى الثاني فهو معطى للتقاطع ما بين وعي الفنان المســـرحي وتوجه وظيفته الاجتماعية او الفنية وبين مكون البنية الجديدة للمجتمع الارتدادي.

هذا التحاور بين الاتصـــال والتقاطع جعل جيل المســرح الان يبحث عن بدائل للمواجه، رغم ان المؤسـسـة الثقافية لم تتح لجيل المسـرح وتفتح له مسـاحات للتعبير او للحرية في البحث عن آليه الابداع المنسـجمة مع فعل التواصـل. الجيل المسـرحي الان يعمل بعيداً عن توفير بنى تحتية مسـرحية ترتقي بالفعل التكنولوجي للمنجز المسـرحي

العراقي وتساير تطورات الاكتشافات المسرحية , فقد ظل هذا الجيل يعمل بالموجود والمتوفر من القدرات والتقنيات ، ظل يعمل بقدرته على المواجهة نحو عوالم التجديد، فطرحت رؤيا المخرجين لجيل التردي الثقافي مفاهيم حداثوية لإزاحة التقليدي، وهو بحث واعي يتطلب قراءات مستمرة ومشاهدات تثري الثقافة المسرحية العراقية وتقدم لها ما هو متجدد من الوعي الفني الذي يتطلب ازاحة لكل تفاصيل الواقع والبحث عن بدائل التمرد عليه، انهم جيل متحدي لا يقبل التنازل او الاستسلام لهذا يبحث عن التواصل في انجاز عرض مسرحي يعتمد على قدرات الطاقات المسرحية الطاقمية ويبحث في موضوعات العراق اليوم من اجل ملاحقتها او رفضها. بدائل عروض هذا الجيل جاءت بالوسائط المتعددة وتأكيد لغة العرض البصرية، وذهاب نحو البكائية وعرض حالات الناس المعدومة بطريقة مباشرة ، فضلاً عن تأثيرات الحرب والدمار والشظايا في وسط هذا العالم المتراكم حزناً، جيل مازال يبحث عن لغة مسرحية صادمة هدفها التغيير.

خامساً:- نتائج البحث

1- المجايلة التاريخية تكشف عن منجز مسرحي تتداخل فيه لغة التقاطع لتنتج جيل مختلف في الرؤى والتطورات, وتساهم فيه لغة التواصل للبحث عن مديات في الاستفادة من المرجعيات عبر تاريخ الاحداث.

2- نظرية التواصل انتجت وظائف متعددة تشتغل فيها عناصر الرسالة الاتصالية باليه العنصر المهيمن لتشكل وعي جيلي جديد يرتبط بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تمتلك مسارات خاصة باتجاه دور المسرح والثقافة المسرحية عبر التاريخ.

3- نظرية المجايلة التاريخية عنوان لتطور زمكانية الفعل المسرحي وابداعه عبر تاثير مراحل بناء الدولة ما بين النشأة والتطور والاضمحلال.

4- الحقب المسرحية التاريخية اعطت لأجيال المسرح العراقي على مستوى نظرية المجايلة التاريخية مساحات متنوعة من الاجتهادات والاضافات والتغيرات في صيغ الابداع المسرحي ، مما ادى الى تنوع في الانتاج على صعيد تداخل الاجيال اولاً

وصعيد الجيل الواحد ثانيا ، وقد اتضحت هذه النتيجة بحجم اكبر في الجيل المسرحي الثالث الموسوم جيل الانفتاح والتحرر.

5- جيل التردي المسرحي عنوان للتحدي والمقاولة وعدم الاستسلام بما فرضته المتغيرات التاريخية على المجتمع العراقي، لهذا فهو على المستوى الابداعي المسرحي يحمل نواصل بين الاجيال وعلى مستوى الرفض والازاحة وتمرحل تاريخي يحمل جديد العروض المسرحي المشاكسة في لغة تعبيرها الجمالية.

6- اشكالية المجايلة بين التقاطع والاتصال، هي اشكالية معرفية اجتماعية، في تاريخ المسرح العراقي حققت اجيال تباعد في تصوراتها لتؤسس تقاطع مع الاجيال السابقه لها، واخرى تقترب لتكمل محاولات الاجيال وتؤسس تواصلا من اجل انتاج تاريخ منفتح باتجاه التجديد والاكتشاف .

الهوامش

1- وليد المطري . سوسيولوجيا الاجيال ، مجلة اضاءات (مدون بحثي)

2- ول ديورنت . قصة الحضارة ، ترجمة ، فتح الله المشعشع (بيروت : دار المعارف ، 1997) ص 632 .

3- الموسوعه الفلسفية المختصرة . نقلها للعربية ، فؤاد كامل ، جلال العشري ، عبدالرشيد الصادق ، (بغداد : مكتبة النهضة ،1983) ص 15 .

4- كارل منهايم نقلا عن وليد المطري ، مصدر سابق .

5- **5** Beck ،Ulrich؛ Wehling ،Peter (2012). المحررون: Rubio ،F.D.؛ Baert ،P. *The politics of non-knowing: An emerging area of social and political conflict in reflexive modernity*. New York: Routledge. صفحات 33–57. ISBN 0415497108.

6- اسعد عبدالرضا حسين . تعددية الوظائف الدلالية في العرض المسرحي العراقي ، رسالة ماجستير مقدمة الى عمادة كلية الفنون الجميلة جامعة البصرة ، باشراف ا.د. عبدالكريم عبود عودة .2011 .

7- ينظر سامي عبدالحميد . المسرح العراقي في مائة عام (بغداد: دار الشؤون الثقافية . 2013) ص 45-46 .

8- علي الوردي .علم الاجتماع المعرفي

9- سيار الجميل . الارتداد والتشكيل (ابحاث ودراسات) الاسبوعية العدد 63 تاريخ 2009/3/15. *www.sayyaraljamil .com*